مأزق الفكر السياسي الإسلامي قراءة في فكر أحمد البغدادي

أ.م.د. صفوان تاج الدين علي

ملخص البحث

أحمد مبارك علي البغدادي مفكر كويتي ذو توجه ليبرالي ، يعد من أكثر الناشطين في الحركة اللبرالية . درس في كلية العلوم الاجتماعية قسم العلوم السياسية في الكويت ، أدين بتهمة تحقير الدين الإسلامي في أحدى المقالات ، يعرض من خلال كتابه تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل، مسائل كثيرة متعلقة في الفكر السياسي الإسلامي من ضمنها مسالة الحكم وما في النظام الإسلامي وهل أن نظام الحكم الإسلامي يقوم على الشورى ؟أم أنها نوع من أنواع الحكم التقليدي وحالها حال باقي الأنظمة الوضعية السائدة .

ويصف البغدادي بعض المسائل المتعلقة بنظام الحكم الإسلامي والتي يعدها السبب الرئيس كما يذكر هو وراء فشل التجربة الإسلامية في قيادة المجتمع ويصفها (بالمأزق) الذي وقع به الإسلاميون وأصبحوا غير قادرين على مواكبة الأنظمة المعاصرة ، وكان لابد عليها ان تتخلى عن فكرة إقامة الخلافة لأن الخلافة ما هي الا نمط من أنماط الحكم وهذا النمط لم يعد سائدا بل اثبت فشله في معالجة كثير من الأمور في الوضع الراهن ، ثم يطرح النظام الديمقراطي كبديل لنظام الحكم في الدول الإسلامية منطلقا من فكرة قبول المسلمين في العصور الغابرة بأنظمة غير الخلافة وقبلوا بالعمل تحت حكمها ولم يعترض الفقهاء آنذاك فلماذا نرفض الديمقراطية الان ؟

وعرض البحث نظرة الاتجاهات الإسلامية حول النظام الديمقراطي من قبوله او عدمه مبيناً وجهة نظر كل اتجاه عن فكرة الديمقراطية وإمكانية قبولها او عدم قبولها اذا ما تتماشى مع الشرع الإلهي .

Abstract

Ahmed Mubarak Ali Al-Baghdadi, a Kuwaiti thinker with a liberal orientation, is one of the most active in the movement. He studied at the College of Social Sciences, Department of Political Science in Kuwait, was convicted of insulting the Islamic religion in one of the articles. The Islamic Shura is based on Shura, or is it a kind of traditional itch, and is it the same as the other prevailing positivist regimes?

Al-Baghdadi describes some issues related to the Islamic system of government, which he considers were the main reason behind the failure of

the Islamic experience in leading society, describing it as a "dilemma" which the Islamists had fallen into and became unable to keep pace with contemporary regimes, and it had to abandon the idea of establishing a caliphate because the caliphate is not what it is. Only a type of government, and this pattern is no longer prevalent. Rather, it has proven a failure to address many issues in the current situation, then the democratic system is presented as an alternative to the system of government in Islamic countries based on the idea that Muslims in bygone eras accepted regimes other than the caliphate and accepted to work under its rule, and the jurists did not object. That, why do we reject democracy now?

The paper presented the view of Islamic trends on the democratic system, whether or not it is accepted, indicating the viewpoint of each trend on the idea of democracy and the possibility of its acceptance or non-acceptance if it is in line with the divine law.

المقدمة

الحد لله رب العالمين والصلاة و السلام على سيدنا محمد وعلى ال بيته الطبين والصحابة الكرام اجمعين وبعد .

إن مشكلة الفكر السياسي الإسلامي ، بقيت مضطربة لاسيما بعد انهيار الدولة العثمانية التي كانت تمثل اخر تجمع المسلمين كدولة ومن هنا برز لدينا فكر يدعو الى التخلي عن هذا الفكر واستبدالها بنماذج تواكب عصور النهضة التي كانت في أوربا ، وفي نفس الوقت أثبتت أغلب التجارب السياسية الإسلامية عدم مقدرتها خلال هذه الفترة التي تلت سقوط الدولة العثمانية ، ولم يكن بمقدورها التعاطي مع واقع التغيير السياسي بعد هذه التفرة ، ولم يكن بمقدورها التصالح مع الواقع المفروض على واقع المسلمين ، مما دعا هذه التيارات الإسلامية الى التخلي عن بعض الأفكار والطروحات التي تأسسَت عليها هذه التيارات الإسلام .

ونتيجة هذه المتغيرات وفشل هذه التيارات ظهر لدينا من يدعو الى التخلي عن التجربة الإسلامية واستبدالها ببدائل أخرى ومن هذه التيارات التي دعت هو التيار الليبرالي الذي كان الدكتور أحمد البغدادي من أصحاب هذه الدعوات ، الذي دعا الى استبدال الانموذج الإسلامي بأنموذج آخر وهو الانموذج الديمقراطي والذي يطلق عليه الشورقراطية ،الذي تحدث عنه على انه اثبت نجاحة في أغلب دول العالم ، والتخلي عن التمسك بالموروث الديني ، وان النظام السياسي الإسلامي المتمثل

بالخلافة ما هو الا تيار سياسي كباقي التيارات السياسية التي حكمت لفترة ونجحت في حقبة من الزمن ،أما الآن فهي لم تعد مجدية في وقتنا المعاصر .

لهذا يقوم البحث بطرح فكر الدكتور أحمد البغدادي حول هذه القضية والتي يجسدها على أنها مأزق يجب الخروج منه ، والتخلي عن هذا النظام الذي لم يعد مجديا ، ويطرح البحث طروحات المفكرين الإسلاميين حول هذه القضية وعن إمكانية استبدال الفكر السياسي الإسلامي بتجارب أخرى وكان أهمها هو الفكر الديمقراطي .

تمهيد :

أحمد مبارك علي البغدادي ولد في الواحد من يناير عام ١٩٥١م، في دولة الكويت وهو مفكر كويتي ذو توجه ليبرالي ، يعد من اكثر الناشطين في الحركة الليبرالية [١] في دولة الكويت. درس في كلية العلوم الاجتماعية قسم العلوم السياسية في الكويت ، وكان له عمود في جريدة السياسة الكويتية تحت عنوان "أوتاد." توفي في الثامن من أغسطس من العام ٢٠١٠م .

في عام ٢٠٠٥ م أداين بتهمة بتحقير الدين الإسلامي في مقال نشره من قبل المحكمة الاستئناف الكويتية ، وكان الحكم بسجنه سنة مع توقيف هذه العقوبة لثلاث سنوات، مع تعهد، بعدم العودة إلى كتابة مثل هذه المقالات التي تستهدف الإسلام ، كما ادين في عام ١٩٩٩بتهمة الإساءة إلى النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) خلال مقابلة صحافية.

الشهادات الحاصل عليها

- شهاداته ليسانس علوم سياسية والاقتصاد من جامعة الكويت عام 1974م.
- ماجستير في الفكر السياسي الغربي من جامعة كلارك في الولايات المتحدة عام 1977م.
- دكتوراه في فلسفة الفكر الإسلامي من جامعة إدنبرة عام 1981م. [٢]

يعرض البغدادي من خلال كتابه (تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل)، مسألة النظام الإسلامي وهل ان نظام الحكم الإسلامي يقوم على الشورى والنظام الخلافة؟ أم أن الخلافة هو نوع من أنواع الحكم النمطية التي يمكن الاستغناء عنها في ضوء المستجدات التي طرأت على العالم .

---

(١) الليبرالية وهي مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، ويرى وجوب احترام استقلال الأفراد، ويعتقد أن الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية التفكير، والتعبير، والملكية الخاصة، والحرية الشخصية وغيرها، ينظر :- المركز الديمقراطي العرابي ، https://democraticac.de.

(٢) ينظر :-https://ar.wikipedia.org/wiki

ويصف البغدادي أن الموروث الديني هو السبب الرئيس وراء فشل التجربة الإسلامية في قيادة المجتمع ويصفها بما وضعه الفقهاء في باب (الكفاءة) مثلا ويعتبر ان العلماء قد تمادوا كثيرا في هذا الجانب،ويصفها بـ(بالمآزق) الذي وقد وقع به الإسلاميون واصبحوا غير قادرين على مواكبة الأنظمة المعاصرة ، وكان لابد ان تتخلى عن فكرة إقامة الخلافة واستبدالها بالنظام الديمقراطي كبديل لنظام الحكم في الدول الإسلامية منطلقا من فكرة قبول المسلمين في العصور الغابرة بأنظمة غير الخلافة وقبلوا بالعمل تحت حكمها ولم يعترض الفقهاء آن ذاك فلماذا نرفض الديمقراطية الآن؟

وعرض البحث نظرة الاتجاهات الإسلامية حول النظام الديمقراطي الذي ينقسم الى ثلاثة اتجاهات منها من قبل بها كبديل للنظام الإسلامي ومنها من رفضها وعدها من يعمل بها كفراً ومنهم من ذهب الى قبولها لكن ضمن الروح الإسلامية ومحاولة الدمج بينها وبين الشورى وتوصلوا الى ان روح الدمقراطية تنطبق تماماً مع روح النظام الدمقراطي .

المبحث الأول : مأزق الفكر السياسي الإسلامي في فكر أحمد البغدادي :

قبل الدخول في الحديث كان لابد من إعطاء المعنى اللغوي و الاصطلاحي لمعنى المأزق فالمأزق لغة : لا يتعدى معنى المأزق في كتب اللغة الا الى معنى واحد فقيل ان المأزق هو (الأَزْقُ الأَزْلُ وهو الضيق في الحرب أَزَق يأْزِقُ أَزْقاً والمَأْزِق الموضع الضيِّق الذي يقتتلون فيه قال اللحياني وكذلك مَأْزِق العيش ومنه سمي موضع الحرب مَأْزِقاً والجمع المَآزِق مفْعِل من الأَزْق الفراء تأَزَّق صدري وتَأَزَّل أَي ضاق) [١]

المأزق اصطلاحا : فلم أجد لمعنى المأزق في الاصطلاح معنى يبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي فقيل إن المأزق هو: (الضيق والحرج) [٢]

مأزق أَزمة الهوية في العالم الإسلامي : تشكل أزمة الهوية اهم عائق يتحدث عنه المفكر الإسلامي أحمد البغدادي ويعده من المأزق الذي يعاني منها المسلمون حيث يعلق فشل المسلمين اليوم بفقدان الهوية التي ينتمون إلهيا قائلا (ان اسواء ما يمكن ان يحدث للإنسان هو فقدان الهوية ،

(١) لسان العرب ،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر ، بيروت ،ط٣، ١٤١٤هـ ،٥/١٠. وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، دار الهداية،١٤١٣هـ، دط، ١٠/٢٥ .

(٢) بين الشيعة وأهل السنه ، إحسان إلهي ظهير، دارالهدى، مصر، دط، دت، ص٩٥ .

والمسلمون اليوم حكومة وأفرادا يعيشون حالة عدم الاستقرار الفكري بسبب هيمنة الفكر الغربي الشاملة والطاغية من جهة أخرى)[١].

وفقدان الهوية هو عدم معرفة الموطن وهوية النظام الفكري السياسي القائم على إدارة أُموره السياسية هل هو نظام قائم على القبيلة ام هو نظام قائم على الفكر الديني ام هو نظام قائم على الفكر العلماني او الاشتراكي ؟وهذه الصورة الضبابية في إشكالية التعامل مع النظام القائم لا تمنح الفرد المسلم الصورة الواضحة في عملية تحصيل الحقوق وما عليه من واجبات .[٢]

ويذكر البغدادي ان العودة الى الماضي لاستعادة الهوية الإسلامية ليس بالمجدي لان الماضي المفقود لا يمتلك الآليات المعرفية الضرورية لكي ينقذنا من الحاضر او حتى في المستقبل [٣]

ويعلق هذا الفشل الذريع هو ما وقع فيه (الفقهاء والفلاسفة المسلمون في مجال الفكر السياسي والعجز عن تقديم نظرية سياسية واقعية قابلة للتطبيق العلمي من خلال نظام حكم واضح ومحدد المعالم) [٤]ان البغدادي هنا يريد ان يصل الى ان التعلق بكل ما هو قديم هو غير مجدي في الوقت المعاصر لان الماضي أصبح بمثابة جداراً صخرياً يحول دون فهم الواقع الذي نعيشه اليوم حتى دون التواصل مع المستقبل أصلا .ويوحي الى ان الفرد المسلم اليوم يعيش بشخصيتين هي حالة من الازدواجية في الفكر السياسي حول موضوع الديمقراطية تحديدا وطرحها ويبين انقسام التيارات الفكرية الإسلامية حول هذا المفهوم فمنهم من اقر بها ومنهم من أنكرها ، منهم من قبل بها من خلال الممارسات الانتخابية والعمل في البرلمان والانخراط في العمل السياسي ومنهم من رفضها من خلال تكفير من يقول بها لأنها تنافي جملة وتفصيلا لمفهوم ال(الحاكمية)[٥]

فضلا عن تنافيها مع الشورى او مقدار تقاربها معها لهذا يطرح البغدادي مصطلح يدعي انه قد طرحة المفكرين الإسلاميون وهو مصطلح (الشورقراطية) ويصفه بمصطلح يتصف بالجهل

(١) تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل ،احمد البغدادي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ،دس ، ص ٤٣.

(٢) ينظر: الوعي السياسي، موسى آل طويرش، ص٦٣.

(٣) ينظر :تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل ،احمد البغدادي ، ، ص ٤٣.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٣.

(٥) الحاكمية: ليست إلا لله ويرفض أن يقر بالحاكمية لأحد من دون الله، ويرفض شرعية أي وضع لا يقوم على هذه القاعدة ، ينظر :معالم في الطريق ، سيد قطب ، دار الشروق ،ط٢ ، دس ، ص ٣٣ .

والسطحية الفكرية ، لأنه يعد الشورى منعدمة فكريا ووجوداُ في حين ان الديمقراطية متواجدة فكراً وواقعاً.[١]

ومن هنا كان لابد على المفكر السياسي الإسلامي أَن يجد للفرد طريقة لتنظيم العلاقة بين الفرد وحاجاته من انتماءات دينية كانت أَم سياسية[٢]، أي ((بيان قيمة الدور الذي يضطلع به المجتمع في حل صراع الهوية))[٣].

مازق أَزمة الاندماج مع العالم الغربي : وتأتي هذه الأَزمة نتيجة جهل الفرد المسلم بالهوية الشخصية التي ينتمي اليها والتي سبق الحديث عنها حيث يذكر البغدادي ان عدم تقبل الإسلاميين الديمقراطية هو جهلهم بها لانهم لا يدركون الأساس الفلسفي للديمقراطية فهي لا تعني انتخابات وأغلبية عادية عند التصويت فهذه مجرد ادوات لتنفيذ هذه النوع من الفلسفة التي تقوم أساسا على مبدأ قبول الأخر بشكل سمح ومتساوي اي قبوله فكريا ومعاشيا وواقعيا بغض النظر عن أصوله وعرقه او لونه او دينه ،مؤمنا كان ام كافراً صالحا في حياته كان ام غير صالح بغض النظر عن جميع هذه المسميات ، ومن هنا يطرح البغدادي تساءل هل الفكر الإسلامي يتقبل مثل هذه الأفكار في تقبل الأخر ؟ ويعود ليجيب ان جميع الحضارات الشرقية لم تتعامل مع الآخرين بهذا المنطلق الإنساني الراقي كما تعاملت معه الديمقراطية لأنها حضارات استبدادية وهو بهذا يشير حتى الى الحضارة الإسلامية في التعامل مع الأخر.

وهذا الشيء غير منطقي لأن الحضارة الإسلامية تعاملت مع غير المسلمين بكل رقي مع الاخر واحترام دينه وثقافته وعاداته وتقاليده وهذا ما يذكره لنا التاريخ في ابها صورة وهذا ما حصل حينما فتح العرب المسلمون العراق فقد رحب بهم النصارى وبعض طوائف المجوس لتخليصهم من ظلم الفرس لأن الإسلام سمح لهم بالتمتع بالحرية الكاملة بجميع مرافقها[٤] وهذا ما اقرته العقيدة الإسلامية بقولة تعالى (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[٥] فتكرموهم وتحسنوا إليهم فعلاً

(١) ينظر :تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل ،احمد البغدادي ، ، ص ٤٤.

(٢) ينظر: أَزمة الهوية والتعصب، هاني الجزار، هلا للنشر والتوزيع، ط١، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ص٤٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٩.

(٤) ينظر : الاسلام والحضارة العربية ، محمد كردي علي ، دار القاهرة ، القاهرة ، دط، ١٩٥٠ ، ص ٢٠٨ .

(٥) سورة الممتحنة / الآية ٨ .

وقولاً وتحقيقاً، ولا تظلموهم [١]،فقد عاشت الأقليات الدينية في ظل الحضارة الإسلامية بحرية تامة فقد سمح سعد ابن ابي وقاص بوضع مخطط الكوفة وممارسة كافة شعائرهم الدينية وتعهد لهم بعدم هدم بيعاتهم ولا كنائسهم وعلى ان يخرجوا الصلبان في أيام أعيادهم[٢]وهذا ما يؤكده المستشرق (ميشود) في كتابه (رحلة دينيه الى الشرق) فيذكر انه من المؤسف ان لا تقتبس النصرانية التسامح الموجود لدى المسلمين في احترامهم للعقائد والإحسان لغيرهم من الأديان الأخرى[٣] .

لكن الحديث ليس بصدد الماضي بقدر ما هو الصدد بالحديث عن المأزق الذي يتحدث عنه البغدادي والذي يؤكد فيه على الفشل الذي قد وقع فيه المفكرون الإسلاميون في إيجاد بديل لنظامهم الإسلامي الذي لم يعد مجديا في الوقت المعاصر[٤]، ان البغدادي نسي ان المشكلة ليس في تطبيق النظام الإسلامي فإذا ما طبق النظام الإسلامي بجميع جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية نجده نظاما ناجحا والمنظرين والمفكرين الإسلاميين لديهم الرؤية الواضحة حول هذا المشروع لكن المشكلة تكمن في من يطبق هذا النظام ومدى مصداقيته في العمل على تطبيق النظام الإسلامي في جميع فروعة فاغلب التيارات الفكرية او الأحزاب السياسية الإسلامية لا تمتلك المصداقية الكاملة في تطبيق النظام الإسلامي وتبنية كنظام حكم بما في بعض الدول باعتبارها دول تدعي إنها إسلامية فإذا ما وقفنا على اغلب القرارات الصادرة من الأنظمة الحاكمة في هذا الدول نجدهما أنظمة ازدواجية تدعي تطبيق الإسلام لكنها لا تطبق سوى ١٠% من ادعائها لان دول تبحث عن مصالحها بالدرجة الأساس ومستعدة ان تضحي بالغالي والنفيس من اجل الحفاظ على كرسي الحكم وهذا بعيد كل البعد عن المبادئ والقيم التي يحكمها الإسلام اما بعض الأحزاب التي تتخذ من الأنموذج الديمقراطي للوصول الى سدنة الحكم وهي في قرارة نفسها تنكر هذا المبدأ والمسمى وتدعي الوصل بالنظام الإسلامي وطريقة وصولها هي غير مشروعة أصلا في نظرها فكيف العمل بهذه الازدواجية ولعل هذه الحركة كانت إحدى أسباب فشلهم الذريع الذي لحق بهم في دولهم ،اذا نحن المسلمين مشكلتنا ليس في ديننا مشكلتنا تكمن في من يدعي تطبيق هذا النظام في قبول واستيعاب

(١) ينظر :تفسير النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) تحقيق يوسف علي بديوي ،دار الكلم الطيب، بيروت ،ط١ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م ،٤٦٩/٣ .

(٢) ينظر : الدعوة الى الاسلام ،توماس ارنولد ،مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط١، ١٩٤٧، ص١٨٢ .

(٣) ينظر :تفسير النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) تحقيق يوسف علي بديوي ،دار الكلم الطيب، بيروت ،ط١ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م ،٤٦٩/٣ .

(٤) ينظر :تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل ،احمد البغدادي ، ، ص ٤٦.

الاخر، لعل هذه الأخطاء التي قد وقعت بها هذه التيارات الإسلامية قد يتجاوزها الإسلاميون الجدد الذين لا تختلف دعوتهم عن الدعوات السابقة في دعوتهم الى التمسك بالقرآن والسنة النبوية ورفض الإضافات الأخرى ، وهدفهم هو الوصول إلى السلطة، وهؤلاء وهم ليسوا رجال دين ، وإنما هم مثقفون يطغي عليهم الطابع الشبابي والطابع المتحضر نستطيع ان نطلق عليهم (المثقفون المتدينون)، ونجدهم متهمين من البعض بالفساد والتورط مع السلطات القائمة، لقبولهم بسلطات علمانية وقوانين عرفية لا تتوافق مع الشريعة.

كما يتميزون باهتمامهم، بقضية المرأة، إلى جانب انخراطهم الفعال في العملية الاقتصادية الحديثة وأنماطه الاستهلاكية مع مداورة لفظية، تضفي عليها طابع المقبولية الإسلامية.

وهذه الشريحة من الإسلاميين تعمل على أسلمة المجتمع باعتبارها محصلة عمل اجتماعي وسياسي، وتطبيق الشريعة، فما أن تتحقق أسلمة المجتمع يمكن تطبيق المشروع الإسلامي بصورة شبه تلقائية.[١].

والفكر السياسي عندهم ينطلق من أنّ الإسلام فكر شامل وصالح لكل زمان ومكان، وهذا ما يدفعهم الى ان يجعلوا من المجتمع مجتمع إسلامياً من أساسه حتى منتهاه .

وهذا ما ولد لدينا تيارين من الإسلاميين منهم من هو ثوري فكانت نزعته التمرد على الدولة وتكفيرها ، ومنهم ما هو متقبل للواقع ويعمل التأقلم مع الواقع لكن كلا الطرفين يريد ان يخرج بنتيجة واحدة وهي أسلمة المجتمع وقيام الدولة الإسلامية.[٢].

ويصف البغدادي ان التجربة السياسية الإسلامية للدولة (الخلافة) تجربة فاشلة ولم يحصد منها المسلمون سوى تدهوراً فكريا ، ورغم هذا نجدهم متمسكين بهذا المشروع خبالا ووهما وهذا ما أوقعهم بتناقض مع الواقع الحالي ،واذا ما بقوا متشبثين بهذا الفكر لن يحصدوا الا الفشل المتكرر[٣]،عكس الفكر السياسي الغربي الذي تجاوز تراثهم الديني واستبدلوه بالفكر المعاصر المتمثل ب(الديمقراطية) وان جميع دول العالم قد اخذت بها ، وفي نفس الوقت لم يستطع العالم ايجاد بديل عنها وان اي شعب اذا ما ارد ان يجد البديل فانه يقع في مازق الازدواجية ما بين الدين والواقع المعاصر الذي يأبى الانصياع للدين [٤]، فتفاوتت المواقف بين القبول العام لهذا الفكر السياسي

(١) ينظر :عوامل فشل "تجربة الإسلام السياسي أوليفيهروا، موقع حفريات https://hafryat.com/ar/blog .

(٢) ينظر : عوامل فشل "تجربة الإسلام السياسي أوليفيهروا، موقع حفريات https://hafryat.com/ar/blog

(٣) ينظر : تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل ،احمد البغدادي ، ، ص ٤٧.

(٤) ينظر :المصدر نفسه ، ص ٤٧.

المعاصر وبين الرافض التام ،وبين ما هو بين الطرفين الذي يحاول الدمج ما بين روح الديمقراطية والفكر السياسي الإسلامي والمتمثل بالشورى والذي يعده البغدادي مشروعا لا يحقق اي بديل للديمقراطية وسوف نقف عند فكر من هذه الاتجاهات الرافضة والمتأقلمة لهذا الفكر .

المبحث الثاني :المأزق في الموروث الديني :

يعلق البغدادي سبب فشل التجربة الإسلامية بما ورثه من موروث ديني و المتعلق بالحديث والفقه فهو ينتقد المسائل الفقهية حسب حديثه عنها و يصفها بالتميز الذي وضعه الفقهاء في باب (الكفاءة) ويعتبر ان العلماء قد تمادوا كثيرا في هذا الجانب [١] لأنه يعده تميزاً بين المسلم والمسلم الأخر وخصوصا ما يتعلق– بولاية النقابة – (مَوْضُوعَةٌ عَلَى صِيَانَةِ ذَوِي الْأَنْسَابِ الشَّرِيفَةِ عَنْ وِلَايَةِ مَنْ لَا يُكَافِئُهُمْ فِي النَّسَبِ وَلَا يُسَاوِيهِمْ فِي الشَّرَفِ؛ لِيَكُونَ عَلَيْهِمْ أَحْبَى وَأَمْرُهُ فِيهِمْ أَمْضَى.) [٢] ومسالة الكفاءة شرط في لزوم الزواج جميع هذه الأمور وغيرها تعمل على وضع الفوارق بين المسلمين أنفسهم فكيف بها مع غير المسلمين ، ويعد البغدادي ان هذه الأمور هي من اهم أسباب فشل التجربة السياسة في العالم الإسلامي ، لأنها سقطت في امتحان الواقع ، وما حصل بعد الفتوحات الإسلامية وانفتاح العالم الإسلامي على العالم الأخر نجد ان الخلفاء الأمويين والعباسيين قد قربوا لهم شخصيات لم تكن إسلامية أصلا وتخذوا منهم أطباء وكتاب ومحاسبين ،وكانوا يتواجدون في ديوان الخليفة ولم يغيروا دينهم ولم يعترض على ذلك الخلفاء أنفسهم ،ولم يتعرض على ذلك الفقهاء رغم تعارض هذا الأمر مع الإحكام الدينية التي وردت في كتبهم [٣].

ويضيف البغدادي الحجج التي اعدها السبب في ضعف هذا الجانب تاك الفوارق التي قام بها بعض الحكام حول الذين يعتنقون الإسلام من أهل الذمة فمن المفروض عندما يدخلون الإسلام يجب ان يعاملوا كمسلمين لهم مالهم وعليهم ما عليهم لكن الواقع الذي عاشه بعض معتنقي الإسلام في حقبة من الزمن وجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية في نطاق الدولة الإسلامية واستمرار جباية الجزية منهم وهو(ما فعلة الحجاج مع من اعتنق الإسلام من أهل الذمة فقد ابقي الجزية عليهم رغم

(١) ينظر :تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل ،احمد البغدادي ، ، ص ٤٦.

(٢) الأحكام السلطانية ،أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، دار الحديث – القاهرة ،١٩٨٠ ، ١/ ١٥٥.

(٣) ينظر :تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل ،احمد البغدادي ، ، ص ٤٦.

اعتناقهم الإسلام بحجة (لان في إسقاط الجزية خسارة مالية كبيرة) [١] رغم تعارض هذا مع الحكم الديني ، وهذا خلاف لما فعله عمر بن عبد العزيز الذي قال (ان الله بعث محمد(ﷺ)هاديا ولم يبعثه جابيا) [٢].

أضف الى ذلك ما يذكر من بعض الأحاديث التي جاءت بمعنى التفريق والتفاضل بين المسلمين او تفاضل فرقة على فرقة وان جميعها في النار الا واحدة ونص الحديث **(افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْجَمَاعَةُ)**[٣] وفي العموم فان البغدادي عند سياقه لهذا الحديث فانه لا يناقش مدى صحة الحديث من عدمه لكن يشير الى الحديث على انه دلالة واضحة على رفض الأخر وعدم الاعتراف له بحق الوجود والعيش ، لأنه حكم على الفرق الأخرى هي وجماعتها بالرفض والتكفير وما يترتب على ذلك من ممارسة الشعائر[٤].

هذا الموروث الديني والاقتناع بأفضلية مسلم على الأخر ، وأفضلية فرقة على الأخرى ،من الطبيعي ان يوصل المسلمين الى وضع مأساوي، على الصعيد الديني والأخلاقي والقانوني وحتى السياسي حينما فرض عليهم النظام السياسي القادم من الغرب القائم على حقوق الإنسان والمساواة بين الجميع ، ملغيا بذلك جميع ذلك الموروث المثقل بكل أنواع التفرقة وبما في ذلك الإحكام الخاصة بأهل الذمة ولغي بذلك هذا المصطلح بالكامل من العالم الإسلامي هذا النظام هو النظام الديمقراطي الذي تحول في الحرب كنظام حياة وليس نظام حكم (ثم تحول الى حياة متكاملة من خلال مبدأ مهم يتمثل في ان الإنسان سيد نفسه ،وليست الأخلاق والتقاليد والعادات) [٥] جميع هذه الأمور وغيرها جعلت من الفكر السياسي الإسلامي عائقا على تطبيقه على ارض الواقع لوجود كثير من التميز العنصري ووجود تميز طبقي ، وعملية وجود تميز المسلم على غيرة او تميز مسلم على

(١) المصدر نفسه ،ص٤٧ .

(٢) البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٣١٢/٩

(٣) سنن ابن ماجه ,ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ) ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ،١٣٢٢/٢/ رقم الحديث ٣٩٩٢ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٤٧.

(٥) ينظر : تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل ،احمد البغدادي ، ، ص ٤٧.

المسلم ، فحينما جاءت الديمقراطية ألغت جميع هذه المسميات وهذه الفوارق ليس بين المسلمين أنفسهم فقط بل بين المسلمين وغيرهم ، وجعلت الفكرة السائدة هي الكل سواسية كانسان بغض النظر عن الدين والقومية او اللون واو اللغة وان الإنسان حر هو الوحيد سيد نفسه وليس هناك أي فوارق طبقية او اجتماعية او سياسية ، هذا ما بني عليه البغدادي فكرة في نقد الفكر السياسي الإسلامي .

لهذا عندما طرحت فكرة الديمقراطية كفكر سياسي او نمط حياة اجتماعية وجدنا لها معارضين ومؤيدين وسوف نطرح فكرة كل طرف لبيان وجة نظر كل اتجاه وقبل الطرح وجهات النظر لابد للوقوف عند مدخل للديمقراطية لبيان الفكر الذي تقوم عليه وما هي أسسها وتقسمانها .

المبحث الثالث

معالجة الإسلام للطبقية ومحاربة العنصرية

لعل أقدم دستور مواطنة قد وضع يعود الى زمن الرسول (ﷺ) وهو وثقة المدينة او دستور المدينة الذي نظم حياة في داخل المدينة ومن خلاله صنعت مجتمعاً واحداً، الجميع فيه متساوون، لهذا نقول انه قام على أساس المواطنة، فالبعض يظن ان هذه الوثيقة وضعت ما بين المسلمين واليهود ،لا ان هذه الوثيقة وضعت لضمان حقوق المسلمين فيما بينهم اولاً ومن ثم لضمان حقوق غير المسلمين الذين يعيشون في وطن المسلمين من الاديان الاخرى وبما فيهم المجوس الذين عاملهم الرسول(ﷺ) معاملة اهل الكتاب فضمن لهم الدستور أن يعيشوا بسلام وأمن مع إخوانهم المسلمين.

لهذا نجد انه عندما تعرض احد اليهود من اهل المدينة بالاتهام باطلاً بالسرقة انصفه رب العزة بقوله تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[1] واعلن براءته ورفض موالاة الخائنين[2]، كما ان الإسلام رفض جميع انواع التميز وبجميع أشكاله فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ

(١) سورة النساء ،الآية : ١٠٥

(٢) ينظر : أحكام القرآن ،أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ) ،تحقيق محمد صادق القمحاوي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ٢٦٤/١.

يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[١] ويعد هذا من حقوق المؤمنين فيما بينهم وحقوق غيرهم عليهم اي، أن { لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ } بكلام، او قول، او فعل يدل عبى تحقير الاخر ، وبين شرع الله ان ذلك غير جائز في حق الغير فلعل المسخور منه يكون افضل عند الله من الساخر ،ووضح ان السخرية لا تقع إلا من اصحاب عديمي الاخلاق الذي جاء الإسلام اصلاً لكي يكملها ويحسنها، ولهذا قال النبي : (ﷺ) " **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ** " [٢]وحادثة سيدنا ابي ذر الغفاري مع سيدنا بلال (رضيه الله عنهم اجمعين) عندما عيَّره بأمه قائلاً: **(يا ابن السوداء، قال له النبي صلى الله عليه يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»** [٣] .

وخطبة حجة الوداع جسدت كل معاني المساوة ومحو الطبقية ، ولعلنا نسأل انفسنا سؤالا مهما لماذا اختار النبي سيدنا بلالا لكي يصعد معه الى سطح الكعبة الذي يعد اهم مقدسات المسلمين ولم يختار كبار الصحابة او أي احد من اشراف مكة ، ارد النبي ان يوصل رسالة مهمة الى جميع الناس ، ليكون مثالاً عمليا على كسر الطبقية الابدية في نظر الإسلام ، ولأن سيدنا بلالا كان يحتقر من زعماء مكة وها هو اليوم يعتلي الكعبة المشرفة بقدمة السوداء ، وليدفن تحت قدمي سيدنا بلال كل طبقية قائمة على اللون لأنه اسود ،وكل طبقة قائمة على الغنى لأنه فقير ، وكل طبقية قائمة على النسب لأنه غريب ، وكل طبقية قائمة على الحجم لأنه كان ضعيف البنية ، فجعل النبي(ﷺ) قدم سيدنا بلال السوداء الفقيرة الغريبة تطأ اقدس مقدسات الإسلام ولتمحو كل أنواع الطبقية فلا لون ولا حسب ولا قوة وغني، ووصلت الرسالة بهذا الشكل لجميع الصحابة الكرام وتقبلوا الامر بكل حب لانهم لم يعتبروا سيدنا بلالا من يوم اعتنق الإسلام الا واحداً منهم لان جامعتهم هي الجامعة الإسلامية وليس الجامعة العرقية او الطائفية او العشائرية .

---

(١) سورة الحجرات ،الآية : ١١.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند ، ط١، ١٣٤٤ هـ ، ٩٢/٦، رقم الحديث (١١٨٣٠) .

(٣) شعب الايمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد ،الدار السلفية ببومباي ،الهند ،ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م ، ١٣٠/٧، رقم الحديث (٤٧٧٢) .

اما ما فعله الحجاج في استمرار اخذ الجزية من النصارى الذين اعتنقوا الإسلام فهذا اجتهاد شخصي لا يمت للنص القرآني ولا للسنة النبوية بشي واي تصرف فردي من خليفة او امير او حتى حقبة زمنية وكان هذا التصرف يميل نحو مخالفة النصوص فان هذا لا يمثل الإسلام ولا نستطيع ان نعده تشريعا يحتذى به .

لقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس أجمعين ليبين لهم هدفا من أهداف بعثته، فقال "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". وقد جاء (عليه الصلاة السلام) ليريح المظلومين من شبح العنصرية المبنية على اختلاف الأديان والأوطان والألوان والألسنة، فيعلن النبي – وهو عربي– للبشرية جمعاء "إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى" وأخيرا.. فالإسلام منهج إنساني لا مكان فيه لتعصب وعصبية ، فإنسانيته فوق كل الاعتبارات الطائفية والمذهبية والقبلية والقومية ، قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم:"أيها الناس .. إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء ، كلكم لآدم وآدم من تراب"، وفي موضع أخر يقول: "ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية."

اما حديث البغدادي عن الكفاءة في الزواج فليس كل الفقهاء قد اشترطوا هذا الشرط فهو راي للفقهاء وهناك من خالفهم ولم يشترط حق الكفاءة لهذا نجد بعضم قد خالف من قال بالكفاءة .

فقد ذهب الثوري، والحسن البصري، والكرخي من فقهاء الحنفية: (أن الكفاءة ليست شرطاً أصلاً، لا شرط صحة للزواج ولا شرط لزوم، فيصح الزواج ويلزم سواء أكان الزوج كفئاً للزوجة أم غير كفء) [1] : وكانت ادلتهم في ذلك قول الرسول (ﷺ) (الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، إنما الفضل بالتقوى)[2] فهذا الحديث يدل على المساواة المطلقة، ولا يشترط الكفاءة في نفس الوقت ، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [3] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ

(١) الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ ، وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر، سوريَّة ، دمشق، ط٤ ،دت ، ٩/ ٦٧٣٦.

(٢) سبل السلام ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت ١١٨٢هـ) ، دار الحديث ، ط١،دت ،اخرجه ابن لال بلفظ قريب عن سهل بن سعد «الناس كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى» ،١٢٩/٣.

(٣) سورة الحجرات ، الاية:١٣.

الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [١] وقول الرسول (ﷺ) (رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) [٢]

فجميع هذه الادلة تذهب الى (أن الناس متساوون في الحقوق والواجبات، وأنهم لا يتفاضلون إلا بالتقوى، أما فيما عداها من الاعتبارات الشخصية التي تقوم على أعراف الناس وعاداتهم فلا شك في أن الناس يتفاوتون فيها، فهناك تفاضل في الرزق والثروة) [٣] لهذا يقول الله تبارك ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [٤] أي ان الله الناس متفاوتين في الرزق، فرزق بعض الناس أفضل مما رزق مماليكهم وهم بشر مثلهم وإخوانهم فكان ينبغي أن يردوا فضل ما رزقهم الله وفضل عليهم ، حتى يكونوا متساوون في الملبس والمطعم[٥]، فلو كان هناك تفاضل وطبقية بين الناس في الموروث الديني كما وصفه البغدادي لما كان هذه المراعاة حتى في الملبس والمطعم بين أصحاب الفضل ومن هم في خدمتهم ومماليكهم وهذا ما بينه سيدنا أبى ذرّ أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: (إِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِهِ، وَلْيُلْبِسْهُ مِنْ لِبَاسِهِ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ) [٦].

---

(١) سورة الفرقان ،الاية : ٥٤.

(٢) شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد ،دار الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ،ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ، ١٣٢/٧،رقم الحديث (٤٧٧٤)

(٣) الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ ، وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ٩/ ٦٧٣٧.

(٤) سورة النحل ،الاية : ٧١.

(٥) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ،١٤٠٧ هـ ، ٢٦٠/٢.

(٦) السنن الكبرى ،أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، ٨ /١٢، رقم الحديث (١٥٧٧٦).

جمع هذه الأمور تذهب الى ان المجتمع الإسلامي كان خاليا من جميع أنواع الطبقية وجميع أنواع التفاضل ، وان حصل تفاضل في المجتمع الإسلامي فهذا ليس بالضرورة ان يمثل كل الفكر الإسلامي بما يحمل من تصورات ومفاهيم حول محو كل أنواع التفاضل ، اما حديث الفقهاء عن باب التفاضل فانه ليس من الازم على الناس الاخذ به فهو اجتهاد وراي فبالإمكان الاخذ منه او عدم الاخذ وهو ليس حجة على جميع المسلمين او المجتمع الإسلامي والدليل على هذا هنالك من خالف من قال بهذا الراي ، وكم من غني تزوج من فقيرة وانتشلها من الفقر وكم من قفير تزوج امرأة غنية رفعته الى مستوى الغنى ، وكم من رجل تزوج من جارية اعتقها او تزوج من امرأة انتشلها من وسط الرذائل وكان سبباً في توبتها وعفتها .

فان كان باب الكفاءة واجباً على الناس لما وجدنا مثل هذه الأمثلة قد وقعت في ارض الواقع فهو رأي للفقهاء رحمهم الله وجزاهم الله عنا خير الجزاء فمن شاء اخذ به ومن شاء لم يأخذ والا لما قال تعالى في كتابه الكريم ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [١]

المبحث الثالث : الشورقراطية :

هكذا وصف البغدادي الديمقراطية التي تحدث عنها على انها (حياة متكاملة من خلال مبدأ مهم يتمثل في ان الإنسان سيد نفسه ،وليست الأخلاق والتقاليد والعادات) [٢] لا نريد ان نتحدث عن الدمقراطية التي تعني ((حكم الشعب من قبل الشعب ومن أَجل الشعب))[٣].والتي هي في الاصل هي كلمة يونانية، (ديموكراتيا)، ومعناها سلطة الشعب، او خضوع الأَقلية لإرادة الأَغلبية مع الاعتراف بحرية المواطنين والمساواة بينهم[٤]. اقتضت الحاجة في اوربا الى ظهور الديمقراطية

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٢) ينظر : تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل ،احمد البغدادي ، ، ص ٤٧.

(٣) قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، أحمد سعيفان، ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، (٢٠٠٤م)، ص١٨٢.

(٤) ينظر : الموسوعة الفلسفية، روزنتا، يودين، ص ٢١٠.

وكانت رد فعل لنظرية (التفويض) [١] التي كانت تقضي بأن للملوك سلطانا مطلقا؛ لأنهم يحكمون باختيار وتفويض من الله[٢].

فكانت الدمقراطية البديل حيث اصبحت فيما بعد نظاماً للحكم تضمنته إعلانات الحقوق ومن ضمنها أَن الأُمة صاحبة السيادة وكل شخص يتولى الحكم إنما يستمد سلطته منها، وأَنها لا يمكن تملُّكها بالتقادم[٣]، ويجب المساواة بين جميع فئات الشعب وقد جرى ذلك على الدول الأُخرى حيث اقتبست الديمقراطي لدساتيرها بما تضمنه من قوانين وإعلان للحقوق، [٤].

لكن نريد ان نسال ونحن في القرن الواحد والعشرين هل الدمقراطية حققت ما دعت اليه كما حققه الإسلام كفكرة القضاء على الطبقية في مجتمعاتهم .

لقد عانى العالم من العنصرية قديما وحديثاً ، لا يزال يعاني منها حتى الان ، وكأن العالم يذكرنا بحقب الاستعباد في العصور الجاهلية القديمة ، وخير مثال على هذا الاستعباد المقيت الذي رفضه الإسلام وكانت له الاسبقية في معالجتها ، عندما سِيق إلى الأراضي المكتشفة حديثاً الأمريكيتين مئات الآلاف من البشر السود دون أدنى حقوق، وكانوا يباعون كما تباع المواشي في مجتمع يدعي انه يطالب بحقوق الانسان ويدعو الى نبذ التفرقة العنصرية في اللون او الجنس او العرق ، وما زال السود في أمريكا الديمقراطية المتحضرة يعانون التمييز حتى يومنا هذا ، وليست قضية جورج فلويد (George Floyd) المواطن أمريكي من أصل أفريقي الذي قتل في مدينة منيابولس في الولايات المتحدة الأمريكية على يد الشرطة في ٢٥ مايو ٢٠٢٠ ، ببعيده عن المشهد العنصري ضد السود الموجودين في امريكا الراعية للديمقراطية ، هذه القارة التي اسست اصلا على اشلاء سكانها الاصليين (الهنود الحمر) [٥].

---

(١) نظرية تقوم على أن الملك يستمد شرعيته من الله مباشرة ولا يحق لأي قوة أرضية أن تنازعه في حقه الإلهي من السماء ولايحق للمحكومين محاكمة الملك ومقاضاته فهذا من شؤون الله حسب المفهوم. تم التخلي عن المفهوم عقب الثورة البريطانية (١٦٨٨–١٦٨٩) ، ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٢) ينظر: قصة الديمقراطية، جون دن، ص٨٩، وينظر: فتنة الديمقراطية، أَحمد الكوري العلوي، د.ن، د.ط،ص ٤٦

(٣) ينظر : الثورة الفرنسية، لويس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٢م)، د.ط، ص٩٢.

(٤) ينظر: النظم السياسية، محمد كامل ليلة، ص ٧٤٨، وينظر: الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، نعمان أَحمد الخطيب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط٧، (١٤٣٢هـ–٢٠١١م)، ص ٢٢٩.

(٥) ينظر : islamonline.net

تتناول وسائل الإعلام القيم الأميركية بكل التفاؤل والتمجيد، فتُظهر وسائل الإعلام على ان الامة الأميركية تدعو الى الحرية والمساواة والى حقوق الإنسان، وتنبذ للعنف والكراهية وكل انواع التعصب. وتتبنى الولايات المتحدة– الديمقراطية– هذه القيم من منطلق تفوقها العالمي، وهو ما تعلق عليه (تسيانينا لوماويما، أستاذة التاريخ الأميركي بجامعة أريزونا، أن الولايات المتحدة الأميركية "تؤمن باستثنائيتها، أي بتفوق الأمة الأميركية على أي أمة أخرى، ولكن هذا أمر لا تدعمه الحقائق أو التاريخ)[١]، لكن لو رجعنا بالتاريخ إلى نشأة الولايات المتحدة ، إلى القرن الخامس عشر الميلادي تحديدا، عندما بدأ الأوروبيون باستكشاف قارة أميركا الشمالية، لنثير سؤلاً، ما مدى تطبيق القيم التي تدعو اليها من حرية وعدالة ونبذ للعنف على السكان الأصليين الهنود الحمر للقارة؟ هل التزم الأميركيون بهذه القيم مع السكان الاصليين أم أنهم خالفوها تماما معهم؟!

ان الحكام الأمريكيين لم يأخذوا بعين الاعتبار "حقوق الإنسان" للهنود الحمر. لأنهم كانوا في نظرهم بشراً أقل منهم شأنا وأنهم لا يختلفون عن الوحوش. ، لهذا نجد ان مؤسس الدولة الأمريكية جورج واشنطن "أبو الأمة" الأمريكي كما يصف السكان الاصليين فيقول عنهم (إن توسعنا في الهجرة فلا بد لنا من دفع هؤلاء البرابرة بعيدًا عن منازلهم، إنهم وحوش مثل الذئاب لكن بأشكال مختلفة)[٢]، بهذه العبارات وصف السكان الاصليين ، بينما المكتشف الاصلي لهذه القارة وهو كريستوفر كولومبوس يصف السكان الاصليين برسالة ارسلها الى ملك وملكة اسبانيا فيقول فيها (هؤلاء الناس طيبون جداً، مسالمون جداً .بحيث اني اقسم لجلالتكم ، انه لا توجد في العالم امة افضل منهم) [٣]، فشتان بين الوصفين فلأول يتحدث عن شعب وحشي يريد ان ينقذ العالم منه فكانت ذريعة لاجتياح بلادهم والثاني يصفهم حسب ما وجد من ضيافة وحسن معاملة.

وهذا هو ديدن الدول الاستعمارية صورهم لنا على انهم وحوش قتلة غايتهم الوحيدة هي اقتناص الشعوب البيضاء لقتلهم جميع هذه الأشياء فصوروها لنا في افلامهم وصورهم وكانت هذه الصورة المزيفة التي نقلت عن شعب لايزال حتى الان يعاني من هضم حقوقه الشرعية الدمقراطية في دولة راعية لحقوق الانسان وتنادي بشعارات الديمقراطية والتي قامت باسم الدمقراطية بإبادة شعب

(١) www.aljazeera.net/midan/intellect/sociology:

(٢) أولى الجرائم الخمس الفظيعة لانتهاكات حقوق الإنسان في الولايات المتحدة: الاستعمار وذبح الهنود الحمر http://arabic.people.com.

(٣) اكبر جريمة في التاريخ اختفاء الشعب الاحمر ، بدر عبد الله ، https://www.kabbos.com/

كان تعداده ١١٢مليون ينتمون الى ٤٠٠ قبيلة مورست ضدهم كل أنواع الإبادة ، ففي عام ١٨١٤، أصدر الرئيس الأمريكي جيمس ماديسون مرسومًا ينص على مكافئة مالية ٥٠ دولار لفروة كل راس طفل او المراءة و ١٠٠دولار لفروة رأس الرجل من الهنود الحمر، وفي عام ١٨٦٢، الحكم بالإعدام شنقاً لكثر من ٣٠ من الزعماء و السياسيين ورجال الدين من القبائل الهنود الحمر في مينيسوتا وبأمر من الرئيس الأمريكي لينكولن، وكانت هذه أكبر ابادة جماعي في التاريخ الأمريكي ليصل عددهم الى ١٩ مليون [١].

و بعد مائتي سنة من الاحتلال ، لا تزال أفواه الهنود السكان الأصليين مكممة ولا يحق لهم التحدث على أرضهم. وتكشف المأساة التاريخية للهنود الحمر عن الجوهر الحقيقي لوجهة النظر الأمريكية المتمثلة في نهب حقوق الآخرين من أجل إرضاء جشعها.

هذه هي الدمقراطية بوجهها الحقيقي التي يعدها البغدادي المأزق الذي لابد ان نقبل بها باعتبارها هي المعبر الوحيد للعالم الخارجي ، ووصف العلمانية التي تعد اماً للديمقراطية على انها أحدى وسائل النجاة للعالم العربي ، ويذكر ان الحكام والمحكومين المسلمين باتوا يتقبلونها عملاً لا فكرا لأنها اصبحت جزءاً لا يتجرأ من متطلبات المجتمع الإسلامي الذي أخذ المسلمون يقطفون خيراته من خلال ما يسمى دولة القانون التي ألغت ملك اليمين وقضت على الرق والعبودية وتبنت النظام الاقتصادي الربوي بدل النظام الإسلامي[٢].

وانا اعجب كيف يكون الحديث عن تقبل العلمانية وكأنها الخلاص من كابوس يسمى الإسلام ، والإسلام عالج نظام العبودية وقضى عليه ونبذ كل انواع العنصرية والتمييز بين الناس .

فان التجربة الغربية لم تقض لنا على العبودية ولا على العنف والاضطهاد للأسف الشديد، فإسلاموفوبيا[٣] ووسائل الكراهية ضد المسلمين والاعتداءات المتكررة عليهم فقط لأنهم مسلمون أو لأن لونهم ولغتهم مختلفة ماذا يعني ذلك وهذه الممارسات في القرن الواحد والعشرين ، لقد سجل

---

(١) ينظر: اكبر جريمة في التاريخ اختفاء الشعب الاحمر ، بدر عبد الله ، https://www.kabbos.com/
وينظر: أولى الجرائم الخمس الفظيعة لانتهاكات حقوق الإنسان في الولايات المتحدة: الاستعمار وذبح الهنود الحمر
.http://arabic.people.com

(٢) ينظر: تجديد الفكر الديني دعوة لاستخدام العقل ،احمد البغدادي ،ص ٥٦.

(٣) إسلاموفوبيا أو رهاب الإسلام (Islamophobia) هو التحامل والكراهية والخوف من الإسلام أو من المسلمين. وبالأخص عندما يُنظَر للإسلام كمصدر للإرهاب، ينظر : https://ar.wikipedia.org/wiki/

مكتب التمييز ١٢٠٠ حالة اعتداء عنصري في عام ٢٠١٩م بنسبة زيادة ١٠% عن العام الذي سبقه، ما يعني أن المستقبل قد يشهد مزيدا من العنف والكراهية والعنصرية ضد المسلمين.

اذا التجربة الغربية ليس هي الخلاص من المأزق لكن المأزق هو الوقوع مرة ثانية في فكر يتبنى الحريات ولا يطبقها على جميع المجتمعات ويتبنى حقوق الانسان ولا يمارسها الا على فئة خاصة من الناس .

ومن هنا فان المأزق هو ليس الخلاص من الموروث الديني وليس الخلاص منه هو ان نقيل بالتجربة الغربية كبديل للفكر الديني ، المأزق هو قبول التجربة الغربية وتطبيقها دون تنقيتها والوقوف على ابعادها المستقبلية لان التجربة الغربية جاءت كارد فعل الى لتصرفات عشوائية كانت تمارسها السطلة آنذاك ، وان كانت قد فرضت علينا وقبلنا بها كبديل لكن على ان لا تكون بالتصور الغربي بعزل الدين عن الدولة بالكامل، ليس دفاع عن الدين لكن بحكم ان الدين الإسلامي له كثير من المعالجات الاقتصادية والاجتماعية التي تخدم المجتمع .

والخروج من المأزق بتصوري البسيط يكون بقراءة عصرية للموروث الديني والوقوف على أساسين هما الزمان والمكان لان أي انسان يكون محكوما بهذه الاسس، فلا اطلاق للأحكام مالم تكن محكومتان بهذين المبدأين ، ويجب قراءة الواقع كما قرائه سيدنا الرسول (ﷺ) في صلح الحديبية، وكما قرائه سيدنا عمر في عام الرمادة ، وكما قرائه سيدنا الحسن في عام الجماعة ، جميعهم استقرئوا الواقع المكاني والزماني وانطلقوا من روح الدين بحكم يتناسب مع المكان والزمان فكانت النتائج بما يتناسب مع الواقع وبعقلانية فذة اوصلتهم الى بر الامان .

وهذه القراءة تراعي الواقع المحيط بنا قراءة عقلانية خالية من العواطف، ويجب ان نفهم ما يدور من حولنا ونستقرأ الواقع ونفهم كيف وقف غيرنا على نقاط الضعف التي تعمل على سحبهم الى اعماق التراجع والمراوحة في مكان واحد، قراءة عقلانية تستطيع ان توصل الناس الى بر الامان، وليس التخلي عن الموروث الديني.

المصادر والمراجع :

١-الأحكام السلطانية ،أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، دار الحديث – القاهرة ،١٩٨٠.

٢-أحكام القرآن ،أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ) ،تحقيق محمد صادق القمحاوي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

٣-أَزمة الهوية والتعصب، هاني الجزار، هلا للنشر والتوزيع، ط١، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

٤- الإسلام والحضارة العربية ، محمد كردي علي ، دار القاهرة ، القاهرة ، دط، ١٩٥٠م.

٥-بين الشيعة وأهل السنه ، إحسان إلهي ظهير، دارالهدى، مصر، ٢٠٠١، دط .

٦-تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، دار الهداية ،١٤١٣هـ،دط.

٧-تجديد الفكر الديني دعوى لاستخدام العقل ،أحمد البغدادي ، دار المعرفة ، بيروت ،دس، ط٢.

٨-تفسير النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) تحقيق يوسف علي بديوي ،دار الكتاب الطيب، بيروت ،ط١ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

٩-الثورة الفرنسية، لويس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٢م)، د.ط .

١٠-الدعوة الى الإسلام ،توماس ارنولد ،مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط١، ١٩٤٧.

١١-سبل السلام ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت ١١٨٢هـ) ، دار الحديث ، ط١،دت

١٢-سنن ابن ماجه ,ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ) ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

١٣-السنن الكبرى ،أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ،تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

١٤-السنن الكبرى للبيهقي ،أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند ،ط١ ، ١٣٤٤ هـ .

١٥-شعب الايمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ،تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد ،الدار السلفية ببومباي ،الهند ،ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .

١٦-فتنة الديمقراطية، أحمد الكوري العلوي، د.ن، د.ط،.

١٧-الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ ، وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر، سوريَّة ، دمشق، ط٤ ،دت.

١٨-قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، أحمد سعيفان، ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، (٢٠٠٤م).

١٩-قصة الديمقراطية،

٢٠-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ،١٤٠٧ هـ .

٢١- لسان العرب ،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ،ط٣ ، ١٤١٤ هـ

٢٢-معالم في الطريق ، سيد قطب ، دار الشروق ، دس،ط٢.

٢٣-الموسوعة الفلسفية، روزنتا، يودين .

٢٤-النظم السياسية، محمد كامل ليلة ،

٢٥-الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، نعمان أحمد الخطيب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط٧، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

٢٦-الوعي السياسي، موسى آل طويرش .

٢٧-http://arabic.people.com

٢٨-http://arabic.people.com.

٢٩-/https://ar.wikipedia.org/wiki

٣٠-./https://www.kabbos.com

٣١-islamonline.net.

٣٢-www.aljazeera.net/midan/intellect/sociology .

٣٣-https://hafryat.com/ar/blog